

﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ وَفَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: 40]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

الإخبار بعاقبة
ترك الحق
بالإغراق في
اليم، بعد
الإخبار بالكفر
عنادًا وطغيانًا

لما ذُكر في الآيات السابقة تكذيبُ فرعونَ واستكباره وظنُّه أنه لا يرجع إلى الله للحساب والعقاب؛ ذُكر هنا ما تسبَّب عن ذلك، من أن الله أَخَذَهُ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ، فلم يُغْنِهِ ما كان فيه من تكبر، ولم يكن له جمعٌ مُنْتَصِرٌ، بل لما اتَّبَعَهُ قَوْمُهُ في التَّكْذِيبِ بِالْحَقِّ؛ تَبِعُوهُ فِي الْعَذَابِ الْمُهِلِكِ، فقال تعالى مُخْبِرًا عن ذلك: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ وَفَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾⁽¹⁾، وجعلهم مَضْرِبًا لِلْمَثَلِ، وَعِبْرَةً لِلْمُتَأَمِّلِ، وَتَخْوِيفًا لِمَنْ عَصَى، وَكَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿فَأَخَذْنَاهُ﴾: (أخذ) أصلٌ يدلُّ على حَوَظِ الشَّيْءِ وَتَحْصِيلِهِ⁽²⁾، ويقال: أَخَذْتَهُ الْحُمَى، وقال سبحانه: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: 67]، وقد كثر استعمال الأخذ في العذاب، كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102]⁽³⁾، وأخذه بذنبه: عاقبه، وفي التَّنْزِيلِ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾ [العنكبوت: 40]، وقوله ﷺ: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قُرَيْشٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ [الحج: 48]، أراد: أَخَذْتُهَا بِالْعَذَابِ، فاستغنى عنه لتقدُّم ذكره في قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [الحج: 47]⁽⁴⁾، وهو كذلك المقصودُ بالأخذ في هذه الآية: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ﴾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 297/14.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أخذ).

(3) للراغب، تفسير الراغب: 40/9.

(4) ابن سيده اللسي، للحكم والحيط الأعظم: 232/5.

(2) ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ﴾: (نبد) أصل يدلُّ على طَرَح وإلقاءٍ، يقال: نَبَذْتُ الشَّيْءَ، أي: ألقَيْتُهُ مِنْ يَدَي، والنَّبَذُ: طَرَحُك الشَّيْءَ مِنْ يَدِكَ أَمَامَكَ أَوْ خَلْفَكَ، والمنبوذ: وَلَدُ الزَّنى المطروح⁽¹⁾، ومن المجاز: نَبَذَ أَمْرِي وَرَاءَ ظَهْرِهِ؛ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِهِ⁽²⁾، وقيل: النَّبَذُ إلقاءُ الشَّيْءِ وَطَرَحُهُ لِقَلَّةِ الاعتدَادِ بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: 100]، أي: طَرَحُوهُ لِقَلَّةِ اعتدَادِهِمْ بِهِ⁽³⁾، ومعنى ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ في هذه الآية: فَطَرَحْنَاهُمْ⁽⁴⁾.

(3) ﴿الْيَمِّ﴾: (يم) أصلٌ يدلُّ على تَجَمُّعٍ لطيفٍ مُتَّصِلِ المَادَّةِ متراكِمِهَا⁽⁵⁾، ومنه اليمُّ الَّذِي هُوَ الْبَحْرُ، قَالَ ﷺ: ﴿فَالْقِيَّةُ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: 7]⁽⁶⁾، ويقال: يَمُّ الرَّجُلِ، فَهُوَ مَيِّمٌ؛ إِذَا وَقَعَ فِي الْيَمِّ، فَغَرِقَ⁽⁷⁾، قَالَ تَعَالَى هُنَا: ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾، أي: فِي الْبَحْرِ.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

تُبَيِّنُ الْآيَةُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَفَذَ وَعِيدَهُ بِالْحَقِّ، فَأَهْلَكَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ الْمُنَاصِرِينَ لَهُ فِي غَطْرَسَتِهِ، وَتَأَلَّيْهِ عَلَى اللَّهِ بِادِّعَائِهِ أَنَّهُ إِلَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَذَلِكَ بِإِغْرَاقِهِمْ جَمِيعًا فِي الْبَحْرِ خِلَالَ مَطَارِدَةِ مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ، الْهَارِبِينَ مِنْ بَطْشِ فِرْعَوْنَ وَبِأَسْهِ الْمُهِنِينَ، فَأَلْقَى بِهِمْ غُرُورَهُمْ فِي الْيَمِّ الْعَبَابِ، وَذَلِكَ مَأَلُ الظَّالِمِينَ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَحِينَ⁽⁸⁾.

❖ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

معنى الفاء في جملة ﴿فَأَخَذْنَاهُ﴾:

تَقْيِيدُ الْفَاءِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ﴾ تَفَرُّعٌ

بِإِثْبَاتِ إِهْلَاكِ
فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ
بِالْإِغْرَاقِ؛ تَنْفِيذًا
لْوَعْدِ اللَّهِ
لِلْكَافِرِ الظَّالِمِينَ

تَفَرُّعُ الْإِهْلَاكِ
عَنْ إِنْكَارِ الْبَعْثِ
وَالنُّشُورِ

(1) الخليل بن أحمد، كتاب العين: 8 / 191.

(2) الرَّمْخَشَرِيُّ، أساس البلاغة: (نبد).

(3) الراغب، المفردات، والسَّمين الحلي، عمدة الحفاظ: (نبد).

(4) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4 / 289.

(5) جبل، المعجم الاشتقاقيِّ لِلْمُؤَصَّلِ: (يمم).

(6) الزَّاغِبِ، المفردات: (اليم).

(7) ابن فارس، مقاييس اللُّغَةِ: (يمم).

(8) ابن جرير، جامع البيان: 19 / 582.

الإهلاك عن ظنهم أنهم لا يرجعون إلى الله ﷻ (1) وتسببته عنه (2)، وطريقة الأخذ المزلزلة بالعقاب الاستتصالي العاتي - الذي طواهم في تلايف الموج المتلاطم - كانت جزاءً وفاً، لاستمرار عنادهم وبغيهم، وكان نبذهم في اليم شر العواقب مآلاً، وأخسرها عاقبةً ومصيراً، فقد كانت العقوبة الدنيوية متصلةً بالعقوبة الأخروية، وهي أشد وأنكى (3).

نكتة إسناد فعل الأخذ إلى ضمير العظمة:

من أخذ الله
بعده لم يفلته
من عذابه

قال الله تعالى في بيان جزاء الظالمين بالعقاب الأليم: ﴿فَأَخَذْتَهُ جُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾، وفي قول الله تعالى: ﴿فَأَخَذْتَهُ﴾ فخامة وتعظيم لشأن الأخذ ﷻ (4)، بإسناد الفعل إلى نون العظمة (5)، أي: (فأخذناه وجنوده بعظمتنا أخذ قهر ونقمة) (6)، وأخذ العظيم عظيم، وهو واقع في مقابلة استكبارهم وتعاضلهم وتجبرهم في الأرض بغير الحق.

سر الإظهار في مقام الإضمار: ﴿فَأَخَذْتَهُ جُنُودَهُ﴾:

وقوع الأخذ على
فرعون وجميع
جُنُودِهِ عدل من
الله وحكمة

كان الظاهر في الآية أن يجيء ضمير المفعول جمعاً (فأخذناهم)؛ لتقدم مرجع الضمير في قوله: ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا هُوَ جُنُودُهُ﴾، لكن عدل إلى إظهار الجنود في قوله: ﴿فَأَخَذْتَهُ جُنُودَهُ﴾ بلفظ الجمع المضاف إلى ضمير فرعون؛ لإفادة وقوع الأخذ عليهم جميعاً، مع كونهم العدد الكثير، والجمع الغفير (7)، وليقع التقابل والتناسب التام بين صورة تعاضلهم واستكبارهم في قوله جل شأنه: ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا هُوَ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 125/20.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 297/14، والخفاجي، غناية القاضي: 74/7.

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام اللان، ص: 616 (بتصرف).

(4) البياضوي، أنوار التنزيل: 178/4.

(5) الخفاجي، غناية القاضي: 74/7.

(6) البقاعي، نظم الدرر: 297/14.

(7) الزمخشري، الكشاف: 415/3، والبقاعي، نظم الدرر: 297/14.

وَجُنُودَهُ^(١)، وبينَ صورةِ استئصالِهِم واستحقارِهِم في قوله تعالى:
﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ﴾.

معنى الفاء في جملة ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ﴾:

الفاءُ في قولِ الله ﷻ: ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾؛ لتفصيلِ الأخذِ المُجْمَلِ وتفسيرِهِ؛ إذا كان المرادُ بالأخذِ الإهلاكَ^(٢)، والعطفُ حينئذٍ مِنْ عطفِ المُفَصَّلِ على المُجْمَلِ، وللتَّعْقِيبِ؛ إذا أُبْقِيَ الأخذُ على معنى التَّنَاولِ، أو أُريدَ به خَلْقُ الدَّاعِيَةِ إلى السَّيْرِ في البحرِ، أو نحوُ ذلك^(٣).

نكتةُ إسنَادِ فِعْلِ النَّبَذِ إلى ضَمِيرِ العِظْمَةِ:

أُسْنِدَ فِعْلِ النَّبَذِ في قولِ الله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ إلى نونِ العِظْمَةِ لتفخيمِ شَأْنِ النَّبَذِ بكونِهِ صادراً عن ذي العِظْمَةِ والجلالِ والكِبَرِيَاءِ ﷻ، أي: (فَنَبَذْنَاهُمْ بما لَنَا مِنَ العِظْمَةِ في اليَمِّ)^(٤).

بلادةُ التَّعْبِيرِ بالأخْذِ والنَّبَذِ:

قولُ الله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ مِنْ الكلامِ الفَحْمِ الَّذِي دُلَّ بِهِ على عِظْمَةِ شَأْنِهِ سُبْحَانَهُ، وَكِبَرِيَاءِ سُلْطَانِهِ، حَيْثُ شَبَّهَهُم - استحقاراً لَهُم، واستقلالاً لعدديهِم وإن كانوا الجَمِّ الغفِيرِ - بِحَصِيَّاتٍ أَخَذَهُنَّ أَخِذٌ في كَفِّهِ، فطَرَحَهُنَّ في البحرِ^(٥)، والكلامُ على ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ الاستعارةِ المَكْنِيَّةِ^(٦)، ويَحْتَمِلُ أَنْ توجَّهَ المَكْنِيَّةُ بِأَنَّهُمْ شَبَّهُوا في الحَقَارَةِ بِنِعَالِ بَالِيَةٍ، والنَّبَذُ قَرِينَةُ^(٧)، ويجوزُ أَنْ يُجْعَلَ الكلامُ استعارةً تَمثِيلِيَّةً^(٨)، كَأَنَّ الله ﷻ فيما فَعَلَ بِهِم أَخَذَهُمْ مَعَ كَثَرَتِهِمْ في كَفٍّ، وطَرَحَهُمْ في البحرِ^(٩).

النَّبَذُ في اليَمِّ
تفسيرٌ للأخْذِ أو
حاصلٌ عَقِيْبُهُ

تفخيمُ شَأْنِ
نَبَذِهِمْ في
البحرِ دَلِيلٌ على
ضخامةِ العقابِ

استحقارُ فرعونَ
وقومِهِ، جزاءً
تَكْبُرُهُمْ وكفَرَهُمْ
وظلمَهُم

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البياضوي: 524 / 14، والالوسي، روح المعاني: 291 / 10.

(2) الالوسي، روح المعاني: 291 / 10.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 297 / 14.

(4) الرَّمْخَشَرِيُّ، الكَشَافُ: 415 / 3، والفخر الرَّازِي، مفاتيح الغيب: 600 / 24.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 125 / 20.

(6) الالوسي، روح المعاني: 291 / 10.

(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 125 / 20.

(8) الالوسي، روح المعاني: 291 / 10.

دلالة الحرف ﴿فِي﴾:

طَرَحُوا فِي وَسْطِ
الْبَحْرِ حَتَّى
اشْتَمَلَ عَلَيْهِمْ،
وَعَشِيَّتَهُمْ
الْأَمْوَاجُ مِنْ كُلِّ
مَكَانٍ

حرفُ الجَرِّ ﴿فِي﴾ من قولِ اللَّهِ تعالى: ﴿فَنَبَذْنَهُمْ فِي الْيَمِّ﴾؛
لِلطَّرْفِيَّةِ الْمَكَانِيَّةِ، وَهُوَ يَفِيدُ أَنَّ الْبَحْرَ ظَرْفٌ وَقَعَ فِيهِ نَبَذُهُمْ
وَطَرَحُهُمْ؛ وَيَوْمِي إِلَى أَنَّ الْبَحْرَ قَدْ اشْتَمَلَ عَلَيْهِمْ اشْتِمَالَ الظَّرْفِ
عَلَى الْمَطْرُوفِ، وَفِي ذَلِكَ تَهْوِيلٌ لَتَعْذِيبِهِمْ وَإِهْلَاكِهِمْ.

دلالة تعريف لفظ ﴿الْيَمِّ﴾:

الْبَحْرُ الْأَحْمَرُ
مَكَانُ الْإِغْرَاقِ
الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ
السِّيَاقُ

المُرَادُ بِالْيَمِّ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرُهُ: ﴿فَنَبَذْنَهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ بَحْرُ
الْقَلَزَمِ، وَهُوَ الْبَحْرُ الْأَحْمَرُ، فَالتَّعْرِيفُ فِي ﴿الْيَمِّ﴾ تَعْرِيفُ الْعَهْدِ
الذَّهْنِيِّ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْمَعَانِي، الْمَعْرُوفُ بِتَعْرِيفِ الْجَنَسِ عِنْدَ النُّحَاةِ؛
إِذْ لَيْسَ فِي الْعِبْرَةِ اهْتِمَامٌ بِبَحْرِ مَخْصُوصٍ، وَلَكِنْ بَفِرْدٍ مِنْ هَذَا
النَّوْعِ، وَقَدْ اغْرَقَ فِرْعَوْنُ وَجُنْدُهُ فِي الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، حِينَ لَحِقَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ يَرِيدُ صَدَّهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ⁽¹⁾.

معنى الفاء في لفظ ﴿فَأَنْظُرْ﴾:

تَفَرَّغَ الْأَمْرُ
بِالنَّظَرِ الْمَعْتَبَرِ
عَنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ
الْعَجِيبَةِ

الْفَاءُ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾؛ لَتَفْرِيعِ الْأَمْرِ
بِالنَّظَرِ عَلَى الْإِخْبَارِ بِهَذِهِ الْقِصَّةِ الْعَجِيبَةِ، وَفِي التَّعْبِيرِ بِهَا حُتُّ عَلَى الْإِسْرَاعِ
إِلَى النَّظَرِ، أَيْ: لَا تَتَرَيِّثْ عِنْدَ سَمَاعِ خَبَرِهِمْ عَنْ أَنْ تُبَادَرَ بِالنَّظَرِ⁽²⁾.

تعيينُ المُخَاطَبِ بلفظ (النَّظَرِ):

الْمُخَاطَبُ لِلنَّبِيِّ
ﷺ أَوْ لِكُلِّ أَحَدٍ

الْمُخَاطَبُ بِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لَغَيْرِ مُعَيَّنٍ، بَلْ لِكُلِّ مَنْ يَتَأَتَّى مِنْهُ النَّظَرُ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ
بِالْمُخَاطَبِ كُلِّ مَنْ قُصِدَ بِالْمَوْعِظَةِ⁽³⁾، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُخَاطَبُ لِلنَّبِيِّ
ﷺ؛ تَسْلِيَةً لَهُ عَلَى مَا يُلَاقِيهِ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَذَّبُوهُ، بَأَنَّهُ لَا يَبِأَسُ مِنْ
نَصْرِ اللَّهِ، وَأَنَّ شَأْنَ الرُّسُلِ أَنْتَظَارُ الْعَوَاقِبِ⁽⁴⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 75/9.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 36/9.

(3) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 525/14، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 238/8.

(4) البضاوي، أنوار التنزيل: 178/4، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 238/8.

غَرَضُ الْأَمْرِ بِالنَّظَرِ:

غَرَضُ الْأَمْرِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ هُوَ التَّحْذِيرُ مِنْ سُلُوكِ مَسَلِكِ الظَّالِمِينَ⁽¹⁾، وَالِاتِّعَاضُ وَالِاعْتِبَارُ بِسُوءِ عَاقِبَتِهِمْ⁽²⁾؛ لِأَجْلِ ظَلَمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَظَلَمِهِمُ الرَّسُولَ بِالِاسْتِكْبَارِ عَنْ سَمَاعِ دَعْوَتِهِ، وَهَذَا مَوْضِعُ الْعِبْرَةِ مِنْ سَوَقِ هَذِهِ الْقِصَّةِ؛ لِيَعْتَبَرَ بِهَا الْمُشْرِكُونَ، فَيَقِيسُوا حَالَ دَعْوَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِحَالِ دَعْوَةِ مُوسَى ﷺ، وَيَقِيسُوا حَالَهُمْ بِحَالِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، فَيُوقِنُوا بِأَنَّ مَا أَصَابَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ مِنْ عِقَابٍ سَيُصِيبُهُمْ لَا مُحَالَةَ⁽³⁾، وَفِي الْأَمْرِ أَيْضًا تَعْجِيبٌ وَتَهْوِيلٌ⁽⁴⁾، كَأَنَّهُ قِيلَ: هَذِهِ قِصَّةٌ عَجِيبَةٌ الشَّأْنِ، فَانْظُرْ إِلَيْهَا.

نَكْتَةُ اخْتِيَارِ فِعْلِ (النَّظَرِ):

يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالنَّظَرِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ نَظَرَ الْعَيْنِ، نُزِّلَ خَبَرُهُمْ لَوُضُوحِهِ وَالْيَقِينَ بِهِ مِنْزِلَةُ الْمُشَاهَدِ الْمُحْسُوسِ⁽⁵⁾، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ النَّظَرُ نَظَرَ الْعَقْلِ، وَهُوَ نَظَرُ التَّفَكُّرِ وَالتَّأَمُّلِ فِيمَا قَصَّ اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِهِمْ؛ وَهُوَ يُؤَدِّي إِلَى الْعِلْمِ، فَيَكُونُ مِنْ أَفْعَالِ الْقُلُوبِ⁽⁶⁾.

بِلَاغَةُ التَّعْبِيرِ بِـ ﴿كَيْفَ﴾:

لَمَّا كَانَ مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ حَالَةً عَجِيبَةً، وَهُوَ مِمَّا تَتَوَقَّرُ الدَّوَاعِي عَلَى السُّؤَالِ عَنْهُ لِعَظَمَتِهِ⁽⁷⁾؛ عَبَّرَ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ بِـ ﴿كَيْفَ﴾ الْمَوْضُوعَةِ لِلْسُّؤَالِ

فِي قِصَصِ
الْمُهْلَكِينَ عِبْرَةً
وَمَوْعِظَةً

تَنْزِيلُ الْخَبَرِ
الْمُتَيَقِّنِ مِنْزِلَةَ
الْمُشَاهَدِ

عَاقِبَةُ فِرْعَوْنَ
وَجُنُودِهِ حَالٌ
عَجِيبَةٌ، وَعِبْرَةٌ
جَلِيلَةٌ

(1) البیضاوی، أنوار التنزیل: 4 / 178.
(2) الألوسی، روح المعانی: 10 / 291.
(3) ابن عاشور، التحریر والتنویر: 20 / 125.
(4) ابن عاشور، التحریر والتنویر: 23 / 128.
(5) ابن عاشور، التحریر والتنویر: 11 / 244.
(6) ابن عاشور، التحریر والتنویر: 9 / 36، 25 / 191.
(7) البقاعي، نظم الدرر: 14 / 297.

عن الحال، والاستفهام المستفاد من ﴿كَيْفَ﴾ يقتضي تقدير شيء، أي: (انظر عاقبة الظالمين التي يُسأل عنها بـ ﴿كَيْفَ﴾)، فعلق فعل النظر عن العمل لمجيء الاستفهام بعده، فصار التّقدير: فانظر، ثم افتتح كلاماً بجملة: ﴿كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾، والتّقدير فيه وفي أمثاله: (فانظر جواب كيف كان عاقبة الظالمين؟) (1).

نكتة التعبير بلفظ (العاقبة):

الإشارة إلى مآل
فرعون وجنوده
نموذج لعاقبة
الظالمين

عبر بالعاقبة في قول الله جلّ من قائل: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾؛ لجعل مآل فرعون وجنوده محل الاعتبار والتّعجب والتّهويل؛ لأنّ العاقبة في الأصل آخر الشيء ومآله، وما يعقبه من مسبباته (2)، وفيها أيضاً إشارة إلى قول موسى ﷺ: ﴿وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِبَةُ الدَّارِ﴾، فالعاقبة المحمودة كانت لموسى ﷺ ومن آمن معه، وعاقبة السوء لفرعون وجنوده.

سرّ الإضافة في ﴿عَقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾:

الإهلاك مختصّ
بالظالمين، نازل
بهم بأمر ربّ
العالمين

الإضافة في قول الله تعالى: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ لامية، أي: العاقبة التي للظالمين، وهي تفيد أنّ عاقبة السوء التي هي الإهلاك مختصة بالظالمين، لا تتجاوزهم إلى غيرهم، وعاقبة الظالمين أنهم - وإن زاد ظلمهم، وأعيا أمرهم - ذهبوا في طرفة عين كأن لم يكونوا، وغابوا عن العيون كأنهم قط لم يبينوا، وهذه إشارة عظيمة بأعظم بشارة: بأنّ كلّ ظالم تكون عاقبته هكذا، فعلى المظلوم المحقّ المصابرة والمرابطة حتّى يحكم الله بينهما، وهو خير الحاكمين (3).

بلاغة الإظهار في مقام الإضمار:

كان الأصل أنّ يقال: (فانظر كيف كان عاقبتهم)؛ لرجوع

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 36 / 9.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 149 / 7.

(3) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 298 / 14.

الضَّمِيرِ إلى فرعونَ وجُنُودِهِ، لكنَّ عُدَلَ عن الإضمارِ إلى الإظهارِ، فقيلَ: ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾؛ لِيُبدَل على الوصفِ الَّذِي كَانَ سَبَبًا لِأَحْذِهِم بالعقوبة⁽¹⁾، وهو ظَلَمُهُم أَنفُسَهُم بالكفرِ، وظَلَمُهُم الرَّسُولَ بالاستكبارِ عن سماعِ دعوتهِ، وفي ذلك ذَمٌّ لَهُم وتسجيلٌ عليهم بالظُّلم⁽²⁾، وتحذيرٌ لأمثالهم⁽³⁾، ببيانِ أَنَّ كُلَّ ظالمٍ تَكُونُ عاقِبَتُهُ هكذا⁽⁴⁾.

نكتة التعبير باسم الفاعل ﴿الظَّالِمِينَ﴾:

عُبرَ بصيغة اسمِ الفاعلِ من الظُّلم، في قولِ الحقِّ تباركَ شأنُهُ: ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾، ولم يقل مثلاً: (الَّذِينَ ظَلَمُوا)؛ لأنَّ صيغة اسمِ الفاعلِ تدلُّ على رُسُوخِهِم في الظُّلم، وأنَّهُ صارَ بمنزلة صفةٍ من صفاتِهِم الجَبِلِيَّةِ الَّتِي لا تَفارِقُهُم، وفي ذلك مزيدٌ تقبيحٌ لشانِهِم وسوءِ حالِهِم ومآلِهِم، يضافُ إلى ذلك أنَّ في التعبيرِ بهذه الصِّغة مراعاةً لملاءمةِ فاصلةِ الآيةِ لما قبلها.

علة حذف متعلّق الظلم:

جاء الوصفُ بالظُّلم مُطلقاً في قولِ الله تعالى: ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾، ولم يقل مثلاً: (الظَّالِمِينَ أَنفُسَهُم)، أو (الظَّالِمِينَ قَوْمَهُم)؛ إشارةً إلى أَنَّ أعمالَهُم قد اصطبغتْ بالظُّلم، بحيثُ لا يخلو منه شأنٌ من شُؤونِ حياتِهِم، فلا يُعَدُّ ذكراً بعضُها أولى من ذكرِ بعضها الآخرِ.

سرُّ التعبير بلفظ (الظُّلم):

عُبرَ بالظُّلم في قولِ الله عزَّ شأنُهُ: ﴿فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾، ولم يُعبّرْ بالكفرِ؛ للإشعارِ بأنَّ ما أصابَهُم لظلمِهِم

رُسُوخُ فرعونَ
وجُنُودِهِ في
الظُّلمِ

اصطبأ جميع
أعمالِهِم
بالظُّلمِ حِجَّةً
عليهِم على الذي

بيانُ أَنَّ عقابَ
الظَّالِمَةِ يكونُ
بسببِ ظلمِهِم
وكفرِهِم

(1) البقاعي، نظم الدرر: 138 / 14.

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 524 / 14.

(3) الألوسي، روح المعاني: 165 / 10.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 297 / 14.

وكفرهم، لا لكفرهم فقط، كما أُشير إليه في قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: 117] (1).

❁ الفروق المُعْجَمِيَّة:

النَّبَذُ وَالطَّرْحُ:

فُرِّقَ بَيْنَ النَّبَذِ وَالطَّرْحِ: بَأَنَّ النَّبَذَ اسْمٌ لِإِلْقَاءِ الشَّيْءِ؛ استهانةً به، وإظهارًا للاستغناء عنه، وأمَّا الطَّرْحُ؛ فهو اسمٌ لجنس الفعل، فهو يكونُ للاستهانة والاستغناء ويكون لغيره (2)، وبناءً على ذلك يكونُ النَّبَذُ أَشَدَّ مِنَ الطَّرْحِ وَأَخْصَّ مِنْهُ (3)، وقد عُبِّرَ به في قوله: ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾؛ لَأَنَّهُ أَنْسَبُ بِمَقَامِ الاستهانة بهم وتحقير شأنهم.

الْيَمُّ وَالْبَحْرُ:

الْيَمُّ: النَّهْرُ الْعَظِيمُ، وقد أُطْلِقَ على نهر النيل، في قوله تعالى: ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي الْتَّابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [طه: 39] (4)، والْيَمُّ أَيْضًا: الْبَحْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ، واشتقاقُهُ مِنَ الْيَمِّمِ؛ لِأَنَّ الْمُسْتَفْعِينَ بِهِ يَقْصِدُونَهُ (5)، وفي التَّعْبِيرِ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى هُنَا: ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ إشارةً إِلَى انْقِلَابِ هَذَا الْمَوْطِنِ - الَّذِي يُقْصَدُ لِلانْتِفَاعِ عَادَةً - إِلَى مَكَانٍ يَهْلِكُ فِيهِ طَائِفَةٌ مَعَ جُنُودِهِ، فَسَبْحَانَ مَنْ كُلُّ شَيْءٍ مُسَخَّرٌ بِقُدْرَتِهِ!.

النَّبَذُ أَنْسَبُ
بِمَقَامِ الاستهانة
بهم وتحقير
شأنهم

تَحْوِيلُ مَكَانٍ
الانْتِفَاعِ إِلَى
مَكَانِ الْهَلَاكِ

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البضاوي: 524 / 14.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 530.

(3) زيدان، الفروق اللغوية، ص: 183 - 186.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 75 / 9.

(5) الزمخشري، الكشاف: 148 / 2.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 41، 812 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-92-1

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 41: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-92-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»